الأدب والتجربة الفيتنامية

بقلم صبري حافظ

يوشك صوت المدافع ان يصمت في فيتنام ، بعد ان نضجت على نيرانها الطويلة الضارية ثمار النصر العزيزة المنال . وتوشك قوى العدوان الامريكية ان ترحل مثخنة بالجراح والهزائم ، بعد ان ظلت تكابر طوال سنوات وسنوات متوهمة ان امكانياتها الضخمة وعتادها الحربي الحديث يستطيع ان يهزم الارادة الصلبة للشعب المشوق للحرية في فيتنام .. وها هو الحوار الدامي بين المكابرة والصمود يوشك ان ينتهي بتسليم المكابرة الامريكية الرعناء بكل مطالب الصمود الفيتنامي الهادىء الصبور .. ولا تنقذ المكابرة مياه وجهها المراقة بغير التمسك باطلاق سراح اصابعها التي حاولت ان تخمش وجه فيتنام فوقعت في الاسر هناك ، جنودا وطيارين .ويوافق الشعب الصبور على هذا المطلب الانساني لان الانسانية عنده لا تتجزأ ، حتى ولو كان يتعامل مع من لا يعرفون شيئا عن هذه اللغة ولا يفهمونها . فقد قبل الشعب الفيتنامي ان يتعامل مع الفطرسة الامريكية باللغة الوحيدة التي تفهمها .. لغة القوة .. وها هي امريكا تحاول في اتفاقية السلام ان تتعلم شيئا من لغة هذا الشعب الذي لقن عصرنا درسا رائعا في الصلابة والصمود ، واكد بتضحياته النبيلة ان الحق لا بد وان ينتصر ولو وقفت في وجهه صلافة « اقوى » دولة في العالم كما يحلو للبعض ان يسميها . ها هي امريكا تحاول ان تتعلم شيئا من لغة القيم الانسانية والسلام ، ولعلها تضيف الى درس كوريا درسا جديدا فتثوب الى رشدها وتعدل من قيمها الشوهاء .

وعندما توشك ثمار النصر الناضجة على التساقط في ايدي المقاتلين معلنة عن اكتمال التجربة النضالية وتحققها ، يبدأ الدارسون في استقصاء ابعاد التجربة والخروج منها بزاد من المعرفة الانسانية والخبرات النضالية في شتى المجالات . واذا ما كان هناك من يعيش ظروفا كظروفنا ويعاني من صلافة صهيونية تربت في فيء الفطرسة الامريكية ، فان حاجته الى دراسة مختلف ابعاد التجربة الفيتنامية العظيمة تزداد عمقا والحاحا ، لانها هنا لا تصبح نوعا من الدراسات المترفة او المجردة ، ولكنها تصبح جزءا من مشاركة المثقف الوطني في معركة بلاده الدائرة ، ونوعا من تحقيق فعاليته بالاسهام في استقراء تجارب الاخرين من خلال اكتوائه بتجربة وطنه . لان المثقف الوطني يتعرف على الثقافات الاخرى والتجارب الاجتماعية والحضارية والنضالية الاخرى عبر (مرشح) من ثقافته هو وخبراته هو،ممتزجة بالطبع او بالاحرى مندغمة في ثقافة بلاده وتاريخها وحضارتها . ومن هنا فان استقراءنا للتجربة الفيتنامية العظيمة مهما اتسم بالحياد والموضوعية لا يمكن الا ان يكون استقراء مصريا لانه يمر عبر احساسنا بقضايا مصر ومشاكلها ويتخلق من خلال مرشح صاغته ثقافتنا وتاريخنا وحضارتنا . ومن هنا فاننا قد نعجب في التجربة الفيتنامية باشياء غير التي تلفت نظر الاوروبي او الاسيوي ، ويزداد تركيزنا على جزئيات تنطوي في الواقع على تناول ضمني لبعض همومنا وقضايانا . ولا يعني هذا الا يوجد جوهر اساسي للتجربة الفيتنامية يمكن ان تستخلصه شتى الشعوب ، فهذا الجوهر موجود بالفعل ، وهو اضافة التجربة الفيتنامية الى ضمير عصرنا والى القضية الانسانية بشكل عام . ولكن الذي يعنيه ان طريقة وصولنا الى هذا الجوهر وطبيعة احتفائنا بجزئيات معينة في التجربة خلال عملية الاستقراء او التحليل ستحمل بصماتنا الخاصة وستنطوي على رؤيتنا الخاصة لهذا الجوهر الانساني انعام الذي سيبصره الجميع وهم يتناولون هذه التجربة الثورية والانسانية .

ولا يمكن لهذه الدراسة ان تستوعب كل ما يستطيع الناقد الادبي ان يستخلصه من عطاء هذه التجربة الانسانية الكبيرة ، لان هناك عشرات من الموضوعات يستطيع الناقد الادبي ان يدربها في ضوء هذه التجربة ، ولان النصوص والمواد التي ابدعها الشعب الفيتنامي المقاتل ابان مسيرته النضالية الطويلة والمتشعبة لم يتوفر لها بعد من يجمعها ويعلق عليها ويربط بين الطريقة التي كتبت بها هذه النصوص والظروف التي كتبت فيها ومارست عبرها دورها . وكل ما تحت ايدينا منها الان مجموعة شحيحة من القصائد والاقاصيص . فطبيعة التجربة الفيتنامية انعكست بشكل واضح على عطائها الادبي ، الذي كان ينتج ابان المعارك وتحت قصف المدافع واثناء انهمار القنابل او بين جدران الزنازين في سجون الحكومة العميلة او في معسكرات التعذيب الامريكية . وكان يمارس فعاليته في العقول التي تتخاطفه على عجل وسط المعارك او التي تتحلق حول مؤلفه وهو يقرأ نسخته الوحيدة في خندق ، او التي تشهد عرضا فوريا له في لحظات التقاط الانفاس بين طلعات طيران اليانكي المتعاقبة ، او التي تتبادل نسخة مخطوطة منه من فوق هامات الاشجار السامقة او عبر الاحراش الكثيفة ، او التي تتناقل كلماته همسا داخل الزنازين وفي الممرات الضيقة الموصلة بينها . فالشعب الذي يطعم في معظم الاقاصيص التي قرأتها ارزا بدون ملح وتصبح ذرات الملح عنده شيئا عزيزا ونادرا يستحلب بمتعة فائقة تحت الالسن حينما يتاح منه نزر يسير ، لا يستطيع ان يوفر المطابع للكتب او الاوراق للصحف . ولكنه في الوقت نفسه لا يستطيع ان يستغني عن الكلمات . فكل معاني الخير والشرف مجموعة من الكلمات وكل قيم الثورة والوطنية والفداء مصبوغة في كلمات ..

وما لا يستطيع الامريكي ان يحصل عليه من هذا الشعب الصامد يترجم في النهاية الى مجموعة من الكلمات .. ولكنها كلمات كتلك التي سقط من اجلها عشرات الشهداء على مر التاريخ الانساني، سبارتاكوس وتوماس مور وعلي بن محمد وتوماس بيكيت واحمد بن حنبل والحلاج وغيرهم .. فتكتسب بتضحياتهم الكلمات معانيها ، وطاقتها على مساعدة الانسان في معركة المصير . ان هذه الكلمات المضمخة بالتضحيات العابقة برائحة الصلابة والفداء هي اشد الكلمات ضرورة لكي يحتمل الانسان هذه الحياة ، ولكي يطيق الاستمرار فيها برغم الشروط المحدقة بها من كل صوب . ومن هنا احس الشعب الفيتنامي بضرورة ان يصوغ هذه الكلمات المضمخة بالتضحيات الطالعة من بوتقة المعاناة والمجالدة المعمدة بالدم في شرانق النار .. وصاغ منها بالفعل الشيء الكثير .. ولكن ما اتيح لنا منها اقل من القليل ..ومع هذا فان القضايا التي يطرحها هذا الكم القليل من الاعمال الفنية اكبر من ان تستوعبها هذه الدراسة . انها تطرح الكثير من الافكار على صعيد التجربة الجمالية التي استطاعت ان تخلق عبر خشونة النصوص وعريها من الجمال وتوهجها بالحرارة نوعا فريدا من الجماليات الجديدة . وتطرح الكثير على كل صعيد اخر .. على صعيد المحتوى الفكري والثوري لهذه التجربة النضالية وعلى صعيد الاجناس الادبية وحتى على صعيد الدراسات اللغوية .

ان دراسة المفردات التي تعلمها الشعب الفيتنامي من لغة العدو الامريكي ومقابلتها بالمفردات التي تعلمها الاسرى الامريكيون من لغة الشعب الفيتنامي تكشف لنا عن طبيعة الدرس الذي لقنه كل منهما للاخر . وتنطوي المفارقة الحادة بين نوعية حدة المفردات وتلك على الكثير من الحقائق التي صاغتها هذه التجربة الفيتنامية الرائعة.. ولقد استطاع الفيلم التسجيلي المدهش (طيارون بالبيجاما) الذي صورته بعثة تليفزيون المانيا الشرقية في معسكرات الاسرى الامريكيين بفيتنام الشمالية ان يكشف عن هذا التناقض ببراعة واقتدار .. لقد تعلم الفيتنامي العادي من اللغة الانجليزية كلمات قلائل .. استسلم.. ارفع يديك .. لا تقاوم والا قتلتك . القى اسلحتك وسر امامي فانت اسير ... اما الامريكي فقد احتاج الى مفردات من نوع اخر .. من لغة الشعب الذي ذهب ليهتك حرمة ارضه وليسلبه الامن والحرية .. تعلم من لغته كلمات من نوع جد مختلف .. اريد طعاما .. اريد شرابا .. اريد صابونا لاستحم .. ماء لاغسل ملابسي .. احتاج ورقا لكتابة الرسائل لذوي ، اريد فرشاة لاسناني .. ابرة لترتيق ملابسي .. احب ان اخرج للتنزه قليلا .. وعشرات من هذه المفردات المتوهجة بالحياة العامرة بالسلام .. ان المستعمر الامريكي يفرض حتى على الشعب المسالم مفردات الحرب والسلاح والاسر .. اما الشعب الفيتنامي فقد علم المستعمر لغة الحياة بضروراتها الحيوية ولذاذاتها وجزئياتها البسيطة . ان التعمق في مثل هذه الدراسة اللغوية تكشف لنا عن بعد فريد في هذه التجربة الثورية . لان اللغة هنا بطبيعتها الاجتماعية هي الوعاء الذي يحتوي الكثير من المضامين الفكرية والسياسية لهذه التجربة الفريدة .

واذا كنا لا نستطيع القيام هنا بهذه الدراسة اللغوية ، فاننا سنكتفي ببعض الملاحظات عن الادب وببعض الاستقصاءات القليلة حول عدد من القضايا التي يطرحها . ومن البداية سنجد اللحن الاساسي في كل الادب الفيتنامي هو المقاومة ، بصورة لا نعثر معها على عمل فني جدير بهذا الاسم لا تكون المقاومة هي موضوعه الرئيسي . وليس هذا بغريب على بلد كانت المقاومة طوال احد عشر عقدا من الزمان زادها اليومي . ومن هنا فانه ليس هناك ادب مقاوم وادب غير مقاوم في الادب الفيتنامي . لان كل ادب فيتنامي ادب مقاوم ، فليس ثمة انفصال بين المقاومة واي نشاط فكري اخر في فيتنام ، كما انه ليس ثمة انفصال بين المقاومة واي نشاط انساني في هذا البلد العظيم.

وعندما ننظر الى هذا الانتاج الادبي سنجد ان التجربة الفيتنامية قد طرحت حصادها الادبي في لغتين مختلفتين .. لغة الشعب الفيتنامي الذي كان يبدع الكلمة في ساحة القتال .. ولغة المستعمر الامريكي الذي استيقظ جزء من ضميره واخذ يقوم بتقريع عنيف للذات الامريكية المنفسة في حمأة العدوان . فقد افلحت التجربة الفيتنامية وهذه احدى اضافاتها الباهرة ، في استقطاب جناح واسع من الرأي العام الامريكي نفسه لصالحها . ولما استطاع هذا الجناح ان يشكل تيارا فكريا حيا داخل المجتمع الامريكي تمكن من طرح نفسه عبر العديد من الاعمال الفنية الامريكية المليئة بالاحتجاج على العدوان الامريكي في فيتنام ، الداعية الى التمرد ضد السلطة العسكرية التي تضحي بزهرة شباب المجتمع الامريكي على مذبح شهواتها الاستعمارية وغطرستها العدوانية . وسوف نبدأ دراستنا بالاعمال التي ابدعها الشعب الفيتنامي ابان نضاله الطويل ضد المستعمر الامريكي، وسنقابل في بعض الاحيان بين هذا الابداع الحقيقي والكتابات الزائفة التي تتم في المناطق الخاضعة للنفوذ الاستعماري والعميل .لنكشف مدى اصالة الاول على ضوء زيف الثانية وافتعالها ، ثم نتريث بعد ذلك قليلا ازاء بعض نماذج الشعر الامريكي وحده في تسجيله لموقف الضمير الامريكي الحي من هذا العدوان البشع . وسنكتفي بالشعر وحده لان تتبع انعكاس القضية الفيتنامية على مختلف فنون الادب الامريكي يحتاج الى دراسة ضافية ومستقلة .

وحينما ننظر في الانتاج الذي اتيح لنا من الادب الفيتنامي، وهو ديوانان من الشعر ومجموعة من القصص والنداءات والدراسات والقصائد المفردة ، سنجد ان طبيعة الظروف التي ابدع فيها هذا الانتاج الادبي قد تركت بصماتها بوضوح على شكله ومحتواه . فها هي اشكال جديدة من التعبير الادبي تظهر وسط المقاتلين في المعارك وتمارس بينهم فعالية كبيرة ، انها النداءات والبيانات والخطب الجنائزية التي تطورت الى نوع شديد الخصوصية من الصور الادبية ، والتي اخذت تسري بين المقاتلين بسرعة سريان النار في هشيم جاف .. مؤكدة ان الطابع الاجتماعي للادب والوظيفة الانسانية له تجعله يتشكل في كل منطقة بالصورة التي يصبح معها اكثر فعالية في الواقع الذي يصدر عنه . كما تؤكد في الوقت نفسه الطبيعة الجدلية له . فقد تركت الوسيلة التي ينتقل عبرها الادب بصماتها على شكل هذا الادب واسلوبه .. انه ادب يكتب ليحفظ لا ليقرأ .. ليمنح المثل والاسوة وليحث المقاتلين على مواصلة القتال .. لم يكتب لتسلية المتخمين ولا لهدهدة الملولين ، ولكنه يكتب ليشد أزر المجروحين ، وليعوض الثكالى عن فقدان ابنائهم والارامل الايامى عن فقدان ازواجهم واليتامى عن ضياع آبائهم .. انه يكتب ليدفع كل واحد من هؤلاء المحزونين الى كفكفة دموعه والامساك ببندقيته والخروج لمواصلة مسيرة الابن الذي استشهد او الاب الذي اسر او الزوج الذي صرعته القنابل .

في هذا الواقع ، وامام هذه الوظيفة العاجلة للادب ،اصبحت البيانات والنداءات والخطب الجنائزية ويوميات المسجونين اجناسا ادبية لها قواعدها وملامحها الخاصة التي يمكن استقراؤها من مجموعة كبيرة من هذه النصوص . وقد يبادر البعض بالقول بان البيانات والنداءات والخطب الجنائزية اشكال من الكتابة تعرفها كل الشعوب ابان معاركها ولكنها ليست اجناسا ادبية باي حال من الاحوال . لكن ما حدث في فيتنام شيء جد مختلف . فمنذ الهجوم الاول للزوارق المقلة للفرنسيين على جيادنه (سايجون الآن) في عام ١٨٥٩ وهزيمة الجيش الملكي الفيتنامي في هذا الهجوم ، ثم اعتراف الملك ومعه كبار رجاله بلاط هيو بالهزيمة بعد سقوط الاقاليم الشرقية الثلاثة لنامبو ، وقبوله للسلام الذي عرف بمعاهدة ١٨٦٢ مع الفرنسيين ـ منذ ذلك التاريخ الذي يمتد في ضمير الزمن اكثر من قرن كامل، والشعب الفيتنامي يخوض ملحمة من المقاومة المستمرة للعدوان طولها

احد عشر عقدا من الزمان ، وعرضها بطول الشريط الجغرافي الطويل الذي يشكل الوطن الفيتنامي بشطريه الشمالي والجنوبي ..خلال هذه الملحمة النضالية الطويلة اخذت النداءات التي تحث الشعب على المقاومة تتحول الى جنس فني يقترب كثيرا من جوهر الشعر . وخرج النداء الاول من قصر الملك الذي وقع معاهدة الاستسلام عام ١٨٦٢ ، حينما حرض ترونج دنه رئيس الديوان الملكي الشعب على عصيان الملك وقاد حركة التمرد ضد الاعداء . واصدر نداءه الاول الذي حدد الطبيعة الشعرية لهذه النداءات ووضعها على بداية الطريق الذي تحولت معه الى جنس ادبي ... استمع الى بعض ابيات من هذا النداء الشعري ..

لكل الانهار منابعها ولكل الاشجار جذورها
وكل انسان يولد بجسمه واطرافه
فلماذا نملك آذانا ولا نسمع ، وعيونا ولا نرى ؟
اين اجدادنا ؟ اين قبور اسلافنا ؟
لماذا نملك قلوبا لا تحس ، وعواطف لا تعاني ؟
ارضنا اغتصبت وشعبنا عذب (١)

ثم يمضي بهذا الاسلوب الشعري يعرض للتبدلات التي انتابت الحياة خلال السنوات الثلاث التي مضت منذ دنس الفرنسيون ارض جيادنه ، مصورا الحياة وكانها هي التي تستصرخ الفيتناميين كي يهبوا للمقاومة ، وفي النهاية يختتم نداءه الاول ذاك قائلا :

لا احد يستطيع ان يتحدى الموت
ولكن الموت من اجل ارض الآباء مجيد
كل انسان يود قطعا ان يعيش
فلنعش يرفع راية المقاومة عاليا . (٢)

وتستمر نغمة هذه النداءات في التصاعد .. لا يفت عضدها سقوط اقليم وراء اقليم في ايدي الفرنسيين ، ولا تنال من شاعريتها كثرة المعلومات التي تنقلها الى المواطنين .. استمع الى بعض سطور هذا النداء الذي وجهه ترونج دنه بعد سقوط تان هوا (١٨٦٣) التي كانت مركزا لقيادته ومواصلته للمقاومة من الغابات ..

« ايها المقاتلون : ان معاهدة السلام التي وقعها البلاط لن تضعف حقدكم على العدو . ان تسليم الاقاليم الثلاثة لن يحيد بكم عن القتال . ايها القرويون : عظيمة هي عطايا ارضنا ، فلا تنسوا واجبكم كمواطنين . تبادلوا العون والحماية ، ولا تمنحوا آذانكم لكلمات العدو . ان سقوط جوكنج لن يغريكم بالارتداد . واخلاء بن نغى لن يغريكم بالركوع تحت اقدام البرابرة . كم هو عظيم حقدنا !. لنثار ونقاوم مهما كلفنا ذلك من ثمن ... اي ثبات لاهدافنا . لن نسلم نفوسنا للهجران .. الحياة في شرف والموت في شرف ، دعونا نعيش ونموت بشرف وطننا .. ربما كنتم افضل المثقفين وتتوقعون ان تكونوا من رؤساء المراكز او المقاطعات . انكم لن تصبحوا الا نفاية ... لا تعتذروا بانكم من العامة المستذلين ، اذا وافقتم على العمل خدما واجراء . انكم لن تحتالوا الا على انفسكم » (٣)

من هذا النص نتعرف على بعض ملامح هذه النداءات وهي لما تزل في بداياتها الاولى . انها ليست تلك النداءات التي تصدر عن منظمات التحرير او المقاومة كما عرفتها الشعوب الاخرى . ولكنها شكل من اشكال الكتابة يقف في منتصف الطريق بين هذه النداءات المعروفة والقصائد النضالية الحماسية . فيها المعلومات والحقائق التي ينطوي عليها النداء . وفيها الاتجاه الذي يريد ان يحث المواطنين على المضي فيه . ولكن فيها الى جانب ذلك تلك النغمة الشعرية التي تجعل النداء قابلا للحفظ والتداول ، والتي ترتفع باتجاه النضال فيه الى مرتبة الحقائق الطبيعية والتاريخية .. واستمرت هذه النداءات في التطور والاقتراب اكثر من منطقة الشعر حينما بدأ قادة المقاومة يعهدون الى الشعراء والادباء بكتابتها ، وبكتابة البيانات التي تعقب المعارك والخطب الجنائزية التي كانت تلقى على شرف الذين ماتوا من اجل الوطن . وفي المرحلة الاولى ـ في العقد السابع الى التاسع من القرن الماضي ـ برز الشاعر الضرير نجوين دنه شيو (١٨٢٢ ـ ١٨٨٢) كواحد من الرواد الذين ارسوا قواعد هذه الاشكال الجديدة من الكتابة . ومن يقرأ هذا المقطع من احدى خطبه الجنائزية يدرك ان ما نعنيه بالخطب الجنائزية كشكل ادبي يختلف اختلافا كبيرا عن الخطب التقليدية التي تلقى في حفلات التأبين الرسمية .. يقول نجوين دنه شيو ..

« ما كانوا جنودا هؤلاء الذين اشعلوا الحرب ضد الاحتلال وانما كانوا قرويين بسطاء . ومن اجل حبهم لارض آبائهم تطوعوا للقتال . انهم لم ينتظروا حتى يتم تدريبهم واكتسبوا مهارات ثماني عشرة موقعة .. ولم يسألوا عما ينبغي عليهم ان يتعلموه في تسعين موقعة . واتخذوا قطعا من قماش خشن ليصنعوا منها ملابس للحرب. ولم يسألوا عن حقائب القذائف او قوارير المسحوق لانهم اكتفوا بحراب من البامبو الهندي . ولم يسألوا عن خناجر المعركة ولا عن خوذات القتال .. وضباطهم ما كانوا يأمرون بقرع طبول الحرب استعدادا للهجوم على العدو . بانفسهم اخترقوا الاسوار واندفعوا نحو قلاع العدو . وكان العدو غير موجود هناك . لا يخافون قذائف المدافع ولا الرصاص . واخترقوا البوابات واقتحموا مواقع العدو مخاطرين بحياتهم » (٤)

في هذا المقطع ترتفع الخطبة الى مستوى العمل الادبي الذي يتخذ من العرض البسيط المباشر سبيله الى ممارسة فعاليته في الواقع الذي صدر عنه .. ان الاحزان المألوفة على الابطال الذين استشهدوا تتحول هنا الى نوع من التفاؤل الذي يستلهم من اعمال هؤلاء الابطال طريقه الى النضال ، والخطب المنبرية العصماء تتحول هنا الى حديث هادىء عن شجاعة هؤلاء البسطاء الذين اجترحوا المعجزات دونما صخب او ضجيج . والجمل التجريدية في نظائر هذه الخطب في البلدان الاخرى تتحول هنا الى تجسيد حسي يهب الخطبة قدرتها على التأثير ويحيلها الى عمل فني له قواعده واصوله التي تبدأ من الحسي والخاص لتصل الى التجريدي والعام . وقد اخذت هذه الخطب في النمو والتطور حتى اقتربت في المرحلة الاخيرة من ملحمة النضال الفيتنامي ـ وهي مرحلة النضال ضد المستعمر الامريكي ـ من جوهر الشعر ، وتألقت فيها مثل البطولة كالشهب في وجدان الشعب الفيتنامي الذي كان يتلقى الاعمال بشغف ويحفظها عن ظهر قلب ويتداولها في الغابات والقرى ، الى الحد الذي تحولت فيه بعض نصوصها الى جزء من الموروث الشعبي في بعض المناطق .

استطاعت هذه الفنون الجديدة ، الطالعة من شرنقة المقاومة الفيتنامية ، ان تقوم بدور بارز في اذكاء الروح القومية وفي حث المواطنين على الانخراط في كتائب المقاومة وفي كفكفة احزانهم كلما حاقت بهم الهزائم ، وفي اقتلاع اليأس من بين صفوفهم والابقاء على الامل بالنصر متوهجا امام عيونهم .. استطاعت القيام بكل هذا برغم ما اتسمت به من تبسيط او بدائية في بعض الاحيان . كما استطاعت ان تبلور عبر هذا التبسيط وتلك البدائية مجموعة من القيم الجمالية الجديدة . لكنها لم تنفرد بأي حال من الاحوال بالساحة الادبية ، بل استطاعت الفنون الاخرى ، الاكثر نضجا وتعقيدا ، مثل الشعر والمسرح والقصة القصيرة والرواية واليوميات ان تقوم بدور كبير في المعركة .

(١و٢) النص من كتاب (ادب المقاومة في فيتنام) وهو ترجمة للعدد رقم ١٤ من سلسلة دراسات فيتنامية التي تصدرها جبهة التحرير الفيتنامية ونشرته وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٩ ، ص ٤٥ و ٤٦ .

(٣) المرجع السابق ص ٤٨ .

(٤) المرجع السابق ص ٥٠ .

وان تتوائم مع المعطيات الخاصة للتجربة الفيتنامية . وبرغم نضج هذه الفنون وانتمائها الى الاشكال المعروفة من الكتابة بتقاليدها الموروثة ، فان الكاتب في فيتنام لا يعرف شيئا اسمه الاحتراف ، بل تصبح الكتابة عنده جزءا من نظام حياته اليومي في معركة النضال ، لا ينتظر عنها اجرا او شهرة ولكنه يشهد بعينيه فعلها في الرفاق وفي الجماهير، فيتحقق له نوع من الرضا يفوق كل مردود مادي . انه يحقق نفسه عبر هذا التأثير وانفعالية على شتى الجبهات .. جبهة القتال وجبهة العمل وجبهة الابداع « فابتداء من اصغر المقاتلين الى الضابط الكبير، ومن الفدائي الى الكاتب ، لا يتقاضى احدهم اجرا . جميعهم يعيشون بين الجماهير ويشتركون في الانتاج ويشاطرون الشعب افراحه وأساه. وكاي انسان آخر يقسم الكاتب والفنان وقته الى ثلاث فترات متساوية : الاولى لحفر الخنادق ، والثانية لانتاج الطعام ، والثالثة لحرفته الخاصة » (٥) ومن هنا فقد تركت هذه الحياة الخصبة للفنان بصماتها على عمله .. فلم يعد عملا عن المقاومة بل اصبح ابداعا طالعا من شرنقة المقاومة نفسها ، متخلفا وسط معمعة الحياة اليومية التي استحال كل ملمح من ملامحها الى شيء بطولي . ففنان المقاومة الفيتنامي ، والحال كذلك ، لا ينطلق من موقف المشاهد بل من منطلق المشارك بكل ما في طاقته على المشاركة في تفاصيل الحيوات والوقائع التي يكتب عنها . لذلك كان للفن الذي يكتبه عبير مخالف سنلمسه ونحن نتعرف على ابداعاته .

واذا بدانا حديثنا عن هذه الفنون بالشعر ، فلانه كان اكثر الفنون تلاؤما مع طبيعة التجربة الفيتنامية واسرعها استجابة لها لطبيعته البنائية والتداولية . ولان معظم النصوص التي توفرت لنا من ادب التجربة الفيتنامية نصوص شعرية . بعضها كتب داخل جدران السجون وعلى رقاع صغيرة صنعت من شرائح الارز المسلوق حيث الورق ممنوع وحيث يقتطع السجين من زاده الشحيح بعض الارز المطهو يعجنه ويصنع منه رقائق صغيرة يكتب عليها . وبعضها الاخر كتب وسط نيران المعارك واثناء اقتحام معسكرات المستعمر وعملائه وخلال التخفي في الاحراش وبين اشجار الغابات السامقة ، ولذلك فقد تركت هذه الظروف ميسمها بوضوح على شكل هذا الشعر ومحتواه ، فمال الى التركيز والتكثيف الشديدين ، وبعد عن التراكب والتعقيد والغموض ، واقترب من البساطة وهي شيء غير التبسيط ، وقصد مباشرة الى الجوهر في كل شيء فكان نوعا من الشظايا التي تخترق الجلد وتنفذ الى الاعماق . وقد اكسبته هذه البساطة المقترنة بالنفاذ طاقة سحرية على الادهاش كتلك التي نعثر عليها في السحر البدائي . استمع الى هذه الابيات من هوشي منه وهي تشكل واحدة من قصائده القصار التي صاغ منها (كتاب السجن) او يومياته .. وهي بعنوان (علامة الطريق) ..

لست ساميا ولا نائبا
لست ملكا ولا اميرا
انك مجرد قطعة صغيرة من الحجر
تجلس على حافة الطريق العريض
تحدد للبشر الاتجاه الصحيح
وتجنبهم عثرات الضياع
وتنبئهم بالمسافة الباقية من رحلتهم
خدماتك اذن ليست بالشيء الضئيل
وسيذكرك الناس دائما (٦)

(٥) المرجع السابق ص ٢٥ .

(٦) العدد السابع من مجلة لوتس (الادب الافريقي الاسيوي) الطبعة الانجليزية
Ho Chi Minh, prison dairy, Lotus, Afro-Asian Writings, Vol 7, January 1971 , Special Section on Vietnam, P. P. 155 . 194.

وقد آثرت ان ابدأ بهذا النص للزعيم الفيتنامي العظيم هوشي منه لاؤكد حقيقتين اساسيتين ، اولاهما ان هناك ادبا فيتناميا واحدا لكل من الشمال والجنوب ، وان كانت الظروف قد فرضت نوعا من الفرقة المصطنعة بين شطري الوطن الفيتنامي ، هيأت بعد كفاح طويل لشطر من الارض الفيتنامية (الشمال) الحرية ، وما ان شارف الشطر الاخر (الجنوب) حريته بعد اندحار الفرنسيين ورحيلهم حتى وقع في براثن استعمار اكثر شراسة وضراوة وهو الاستعمار الامريكي . غير ان المواطن الفيتنامي ظل يحلم في شطري الوطن بالوحدة ويرفد هذا الحلم بالعمل وبالكلمات . وتضامن الشمال مع الجنوب في محنته وبذل له من روحه ومساعداته كل ما في طاقته على العطاء . ومن هنا كانت تلك الوحدة التي لا تنفصم بين ادب الشمال وادب الجنوب تعبيرا عن وحدة الارض الفيتنامية ووحدة مصيرها . اما الحقيقة الثانية فهي الوحدة التي لا تنفصم ايضا بين الكلمة والفعل في التجربة الفيتنامية، حيث يرافق الايمان بالحرب والمقاومة والنضال ايمان مماثل بالكلمة وبدورها الفعال في المعركة . فها هو هوشي منه الذي قاد كفاح شعبه ضد المستعمر الفرنسي ثم الامريكي من بعده يكتب الشعر مؤمنا بدوره الهام في مسيرة التحرر والوحدة . وتنطوي القصيدة القصيرة التي قرأناها قبل سطور على هذا الايمان بدور الاشياء التي تبدو للوهلة الاولى وكأنها اشياء تافهة او لا قيمة لها . ان الحجر الصغير الملقى على جانب الطريق وعليه لافتة بالمسافة او الاتجاه له دور وله قيمة .. والاعمال والادوار الكبيرة هي في الواقع مجموعة من هذه الجزئيات المتناهية الصغر . ومن هنا يصبح لكل عمل من اجل الوطن قيمته مهما بدا صغيرا او تافها .. ومن هنا ايضا تحث الكلمات المواطنين على احترام كل عمل اذا ما شرفت غايته ، وعلى تقديس القيام بالدور الواجب . ذلك لانه ليس ثمة انفصال من اي نوع بين ما يحدث في الواقع وما يدور على ساحة القتال . وكل جزئية تساهم بدورها في هذا الجهاز الذي تعمل كل اجزائه باتساق ووفق نظام شديد البساطة والصرامة في آن ، يكاد لفرط بساطته ودقته ان يرتفع الى مستوى النظام الطبيعي والحقائق الطبيعية .

وايمان الكاتب الفيتنامي بهذا هو الذي يدفعه الى عقد اوثق العلاقات بين الحقائق وجزئيات الطبيعة ، بالصورة التي تصبح كل منها وجها من وجوه الاخرى . فالاستشهاد من اجل الوطن يتحول في قصيدة جيانج نام (وطني) الى عمل مشارك في صياغة العلاقة بين الوطن وبين طبيعة بلاده الساحرة ويرهف احساسه بالوطن والطبيعة والنضال في آن.

لقد أردوك ورموك بعيدا
لماذا ؟.. أجابوا : انك فدائية
يدمي الالم قلبي ، انني نصف ميت
لقد عشقت وطني ذات مرة لطيوره وفراشاته
وللايام التي امضيتها لعوبا شقيا في حقوله وغاباته
وانني لاعشقه الان لكل ذرة من تراب الارض
يتوسدها جزء من جسد ودم الفتاة التي احببتها الى الابد(٧)

ويتحول السجن من اجل الوطن في قصيدة هوشي منه الى غيمة عابرة ، ليترك في النفس يقينا بعرضيته وبانه شيء موقوت لا بد ان ينتهي ، وليخلق التضامن الاخوي فيه في اغوار المناضلين طاقة هائلة على احتمال عذاباته في المناطق التي زرعها المستعمر بالسجون ، وحول بعض جزرها الى مناف :

في السجن ، يستقبل القديم الوافد الجديد
وفي السماء تمضي الغيوم الزرق وراء غيم العاصفة
وتسري السحب طليقة

(٧) ادب المقاومة في فيتنام ، ص ٧٩

بينما هناك انسان حر وحيد في زنزانته (٨)

فقد امتلأت فيتنام الجنوبية بسجون عديدة ، واصبحت اسماء بعض هذه السجون وصمات عار في جبين الانسان ، لما مورس فيها من تعذيب وحشي .. فما ان يذكر اسم (ب ٤٢٠) او (لي فان دويت) او (فوى لوى) او (بين هوا) او (ثودوك) او « جيابديـــن » او (جزيرة بيولو ـ كوندور) حتى تقفز الى الذهن وحشية المستعمر مقترنة بصلابة المناضلين الفيتناميين وبطولتهم . وحتى نتذكر من بين هـــذه البطولات جميعا قصة نجويين فاى تروى انذي ضرب مع زوجته كويان اروع امثلة البطولة والصمود وتحولت قصة الايام الاخيرة في حياة كويان مع فان تروى والتي ترجمت بعنوان رسائل من جنوب فيتنام عن النص الذي كتبتهكويان نفسها بعنوان (الطريق الذي سلكه) ، الى اسطورة من اساطير الصمود والكفاح في عصرنا . وما زالت الكلمات التي طرزتها كويان على منديل زوجها من احدى القصائد الشعبية تؤكد هذا العناق الاصيل بين الظاهرة الطبيعية والحقيقة الانسانية بصمودها وصلابتها..

عبر الامواج والرياح والعواصف والانواء
سيظل قلبي وفيا لك
رجائي ان تظل في أمان
بمنأى عن الافكار
حتى تعود في يوم من الايام مع الانتصار
في جلال ، والمجد يكلل هاماتنا
وقد توحدت بلادنا . (٩)

وقد ظل هذا الأمل في الوحدة حلم شطريفيتنام بالدرجة نفسها.. فليس الجنوب الواقع تحت وطأة الاستعمار هو المشوق وحده للوحدة مع الشمال ، ولكن الشمال هو الاخر مشوق لهذه الوحدة بالقدر نفسه. ويعبر الشاعر تران هو ثونج في قصيدة (فراق) عن هذا الحنين العارم الى الوحدة وعن افتقاد الشمال للنصف الجنوبي من الوطن بالاسلوب نفسه الذي عبرت به كويان عن توق الجنوب للوحدة مع الشمال . ولكن قصيدة ثونج تتميز بغزارة استخدامه لعناصر الطبيعة التي يصور هذا الفراق من خلالها وكانه خلل في نظام طبيعي لا يطيق هذا الانفصـــال الدامي .. انه يتصورها نوعا من الانشطار في العين الواحدة ، او الانفصال بين حقول الارز العطاش والانهار الواعدة بالري .. او بين الساق والارض التي تدب عليها .

في الليالي التي تطير فيها العصافير ضد اتجاه الريح
في أزواج مرتفعة في السماء الزرقاء
لماذا تشبه اجنحتها قدمي وهما تدبان فوق نصف الارض
في ليالي كثيرة .. كثيرة
اشعر بان قلبي ينفطر
لانه يفتقد نصفه الجنوبي (١٠)

ويتحول هذا التوق الى الوحدة في الاشعار الفيتنامية الى نوع من التفاني في حب الوطن والنضال من اجله . فهذا النضال هو طريـــق الفيتنامي الى وحدته المبتغاة ، وهو اغنيته الدائمة التي يتغنى عبرها بالارض وبالخصب وبالطبيعة ، ويتبنى فيها رؤى الشعب وصبواتـــه واسلوب افضائه بهذه الرؤى . ففي قصيدة (خضرة) للشاعر توهو نلمس هذا الحس الشعبي الذي يقترب بالقصيدة من بنيان الشعـــر الفلكلوري . ولذلك كانت ترجمتها الى الشعر العامي شديدة التواؤم مع طبيعتها البنائية .

اصبغي لي السترة ، لون مشجر خضرة
من جديد انا ماشي ، تحت مطره بنشتي
من جديد يا وليفتي ، اصبغي لي السترة
السلاح على كتفي ، وانا لابس خضرة
فيها حب وقدره ، من ايديكي تدفى
تحت رعد القنابل ، والرصاص النازل
ليل نهار وبناضل
يمكن اصبح ناسي ، كل دا اللي بقاسي
لما ارجع بكرة ، والتقي بالخضرة
عند مسقط رأسي (١١)

ان الشعب الفيتنامي يبحث عن السلام والخضرة بين نيرانالمعارك، لانه لا يحارب من اجل العدوان كما يفعل عدوه بل يحارب من اجـــل الخير والحب والحرية ، وهو يعرف ان البنادق ليست طريقة للحياة ولكنها قدر مؤقت فرض عليه ان يجابهه ليحقق لنفسه الامن والسلام .

البنادق والقنابل ليست طريقنا للحياة
فلم نكن ابدا اصدقاء للحرب
ولكنهم اقبلوا مسلحين حتى الاسنان
فهل نسلم انفسنا للعبودية ؟! كلا
دعونا ننهض ، بالبنادق والسكاكين في الايدي
دعونا نحمي ارضنا وانهارنا واسواقنا
قساة هم وبرابرة ، ولكنهم ثمنا للدم سيدفعون دما
واولئك الذين شنوا علينا العدوان
واولئك الذين يطأون بالاقيال مقابر اسلافهم
اننا سنرفع اسلحتنا بصلابة ونطردهم (١٢)

ان الفيتنامي هنا يعي طريقه جيدا ويعرف انه لكي يظفر بالحياة الهانئة التي ينشدها عليه ان يواجه عنف المستعمر غير الانسانـــي ، بالعنف الثوري الانساني ، وان يواجه معه هؤلاء العملاء الذين يطأون بالاقيال الثقيلة مقابر اسلافهم . فقد باعوا انفسهم للمستعمر ولـــم يابهوا بالتاريخ النضالي الطويل الذي خاضته بلادهم .

ولا يتيح لنا حجم هذه الدراسة ان نواصل عرض النماذج الشعرية الناضجة من حصاد التجربة الفيتنامية الادبي او التريث عند القضايا الفكرية والفنية التي يثيرها .. فهناك عشرات القصائد لجوقة متعددة الاصوات من الشعراء المجيدين نذكر منهم تى هانه ، اكسوان ديو ، شى لان فيين ، نونج كوك شان ، اكسوان ميين ، آنه هو ، هوانـــج ترونج تونج ، هوى كان ، كالى هيين ، فان داى ، فيين فونج ، نجوك آنه ، هينه منج سنج وعشرات غيرهم .. وتكاد هذه القصائد برغـــم تفردها وجودتها ان تصوغ لنا ديوانا واحدا لشاعر عظيم هو الشعـــب الفيتنامي ، يؤكد صمود هذا الشعب ازاء العدوان وأمله اليقينـــي بالنصر واصراره على تحقيقه برغم مصاعب السجن والتشريد ، وهـــو موقن بان طريق الحرية صعب تهون في سبيله كل العذابات والتضحيات، لان الشيء الذي يهدر قيمة الانسان هو حرمانه من حريته ، فحريته هي جوهر انسانيته . ويكشف هذا الشعر عن فهم عميق لان الانسانية لا تتجزأ ، وعن وعي بان اللاانسانية هي الاخرى تنحو نحو الشمول في بطشها ، فما ان يتخلى الانسان عن جزء من انسانيته ويعمل ضده حتى تتداعى بقية الاجزاء .. ومن يقرأ قصائد هوشى منه التي يصف فيها حياة السجن ولقاءات المسجونين بذويهم يلمس هذا الوعي الواضح ،

---

(٨) راجع (من دفتر السجن) لهوشى منه . ترجمة وصفي البنى ، منشورات وزارة الثقافة بدمشق ١٩٦٩ ، ص ٣١ .

(٩) راجع قصة حياة فان تروى ، للكاتب الفيتنامي تران دينه فان ، ترجمة نبيل زكي ، مجلة (الكاتب) عدد مايو ١٩٦٦ .

(10) Tran Hau Thung, Separation, Afro-Asian Writinge Vol 7, Special Section on Vietnam.

(١١) راجع (قال التاريخ أنا شعري اسود) ديوان فيتنامي ، ترجمة فؤاد حداد ، دار الكاتب العربي بالقاهرة ، ١٩٦٩ ، ص ١٦ .

(١٢) سانه هاى من قصيدة (اغنية المقاتلين) راجع ادب المقاومة في فيتنام ص ٨٩ .

ويدرك من خلال (يوميات السجن) وغيرها من قصائد الشعـــراء الفيتناميين ايمان الشخصية الفيتنامية بحتمية ميلاد الشمس بعد هذه الظلمة الرازحة ، وتقديسها للعمل باعتباره الطريق الوحيد الى تحقيق كل احلامها في الامن والسلم والحرية ، ونفورها من ادب العكوف على الذات واجترار الهموم الفردية لان عدو الشخصية الفيتنامية عـــدو خارجي شديد الوضوح ، ولانها شخصية محاربة لا تتخلى عن مواجهة كل الصعاب ولا تيأس . ولهذا فانها لا تهن كلما تزايد الضغط عليها بل نعثر لديها على نوع من الاستجابات العكسية تؤدي فيها شدة العنف الى مزيد من البسالة والصمود .

وتتضح هذه الاستجابات العكسية اذا ما تناولنا بعض اقاصيص التجربة الفيتنامية ، لان امكانيات القصة الدرامية تستطيع ان تنقل لنا تفاصيل هذه العملية المعقدة بين التحدي الطائش والاستجابـــة العكسية له .. صحيح ان هناك في بعض القصائد صورا من هـــذه الاستجابات التي تتحرك عبرها الشخصيات من اللافهم الى الوعي ومن التحلل من المسئولية الى تقدير المسئولية . لكن القصة القصيرة اقدر من القصيدة القصصية او الدرامية في تجسيد هذه التحولات ، وفي تصوير العلاقة الجدلية بين العنف الاستعماري المتصاعد الراغب في اخضاع الشعب لحصول استسلامه ، والاستجابات التي تأتي بعكس ما يستهدفه هذا العنف ، صمودا وبسالة وكفاحا . ومن البداية سنجد ان الاقاصيص الفيتنامية تشذ عن التصور الذي قدمه فرانك اوكونر (١٣) للقصة القصيرة . والذي يراها فيه صوتا للانسان المعزول المتوحد الذي ينتمي لجماعة مغمورة ويعاني من مجموعة من عوامل القهر المـادي او الروحي او كليهما معا . بل تكاد القصة الفيتنامية ان تنطوي على تصور مضاد كلية لهذا التصور . ان انسانها برغم انتمائه لشعب فقير يحس بالفخار لهذا الانتماء ولا يشعر بالاسف ازاءه كما يفعل ابطال القصص القصيرة مع الجماعات المغمورة التي ينتمون اليها . فقد استطاعـــت الجماعة المغمورة التي ينتمي اليها الانسان الفيتنامي ان تفرض على العالم احترامها بل والاعجاب بها ، وان تجترح واحدة من اعظم المعجزات في عصرنا وهي هزيمة القطرسة الامريكية المتضخمة . كما ان هذا البطل لا يستشعر الوحدة او العزلة ولكنه يشعر بنفسه واقفا وسط العالـــم مشاركا في صياغة قيمه الجديدة ومقولاته الجديدة ، ويملأه هذا الشعور ثقة في نفسه واعتزازا بامكانياته ، على العكس من بطل القصة القصيرة التقليدية المتشكك في ذاته قبل اي شيء آخر العاكف على همومـــه المجتر لاحزانه . لذلك فان بطل القصة الفيتنامية ـ وهذه سمة اخرى يناقض فيها ابطال القصة المالوفة ـ يوجه جل اهتمامه الى العالـــم الخارجي ، لانه بطل متحقق وليس بطلا محبطا ، وهو لا يتحقق تحققا اجتماعيا ، لان ذات البطل تندغم في ذات الجماعة وتتوحد همومـــه وصبواته بهمومها وصبواتها ، وتصبح افراحه واتراحه جزءا اساسيا من افراحها واتراحها . ومن هنا فان القصة الفيتنامية لا تصبح صوت الفرد ـ كبقية اقاصيص البلدان الاخرى ـ ولكنها تعبر عن صوت الجماعـــة لغياب الحدود الفاصلة بينهما في هذا الواقع المقاتل . وهذا يجعلها من الناحية الفلسفية اقرب الى الرواية التي تتبنى صوت المجتمع وتحاول ان تستوعب صورته ، لكن اقترابها من المنطلق الفلسفي للرواية لا يعني باي حال من الاحوال ترهلها الفني او اقترابها من الروائية على الصعيد البنائي ، فهي من هذه الزاوية قصص محكمة البناء متبلورة الموقـــف واضحة الشخصيات والاحداث ، وسوف تتاكد لنا كل هذه الحقائق ونحن نتناول بعض هذه الاقاصيص .

ولنبدأ بقصة نام ها (تانتي با وابناؤها) (١٤) وهي قصة لا تصور لنا تباين القصة الفيتنامية القصيرة بالقياس الى القصص الانسانـــي القصير من حيث المنهج فحسب . ولكنها تصور لنا من حيث الموضوع كيف يتحرك هذا الواقع النضالي بأناسه ضد الغرائز والعواطف المالوفة ايضا . فالقصة تحكي لنا من خلال الام الفيتنامية تانتي با قصة المقاومة الفيتنامية بأسرها . فبعد ان القى جنود ديم العملاء القبض على زوجها وانقطعت عنها اخباره من عشر سنوات ، قيل انه قتل في (نامبو) او في جزيرة الاعتقال الرهيبة (بولو كوندور) ، وطنت ابنها الاكبر (مينه) على السير على نهج ابيه الذي كان من الرواد الاوائل في حركـــة المقاومة . ثم جاء الدور على ابنها الاصغر ليهجر مدرسته وهو لما يزل في ميعة الصبا ويلتحق بشبيبة المقاومة فسوف يكون امامه الوقـــت واسعا لمواصلة الدرس بعد التحرير . وحينما يخبرها الابن الاصغر (تو) انه قبل في الشبيبة الثورية تبتهج كثيرا لهذا الخبر ، لكنها مـــا تلبث ان تبتئس حينما يبلغها خبر مصرع ابنها الاكبر بعد ان ابلى بلاء حسنا اثناء غارة جوية على موقعه ، ولكنها لا تستطيع ان تبكيه او تصرخ من اجله والا اكتشف العملاء انتماءها لفيالق التحرير . ان ابنتهـــا الصغرى (ماى) تنصحها بان تكف عن البكاء وتؤجل ذلك الى ما بعد التحرير .. ويذهب الصغير (تو) الى جيش الثوار وتلحق به الصغيرة (ماى) وتحاول الام ان تمسك هي الاخرى السلاح لتدافع عن ابنائها وعن الوطن معهم .. ولتثأر للزوج المفقود والابن الشهيد ... ان الام هنا تتصرف ضد غريزة الامومة التقليدية في الظاهر . انها تهيىء ابناءها للانخراط في فيالق المقاومة ولا تضن بهم على الوطن . ولكنها تكشف في الواقع وبانخراطها معهم في جيش التحرير عن وعي عميق بامومتها . فالامومة هي التي ابعدتها عن ساحة القتال لتربي ابناءها .. وما ان اشتد عود الابناء حتى كانت الامومة ايضا هي التي تدفعها الى اللحاق بهم والوقوف بجوارهم تدافع بهم ومعهم عن الوطن وتشارك في صنع الغد الذي يهيىء لهم الاستمتاع بحياتهم في امن وسلام .

اما في قصة نجوين ترنج تان (غابة اكسانو) (١٥) فانها تقدم لنا صورة للحياة التي ربما يكون قد عاشها زوج (تانتي با) او ابنها الاكبر الذي استشهد خلال احدى غارات اليانكي .. انها تقدم لنا حياة المقاتل الفيتنامي المليئة بالبسالة والخشونة ، والتي ترفدها عشـــرات الذكريات الانسانية الاليمة .. ذكريات الرفاق الذين تساقطوا علـى الطريق والحبيبة التي انتهكها العملاء او عذبها الاعداء والابناء الذيـن لم يتحملوا شظف العيش في هذه الظروف القاسية .. لكن الذكريات كلها ليست من هذا النوع الاليم والا لغرست اليأس في النفـوس.. فهناك ايضا ذكريات الساعات الحلوة وسط غابة الاكسانو الجميلة ، ولحظات الحب المشبعة بالحنان ، ومشاعر الاكبار التي يحظى بهـــا المقاتل من ابناء قريته ، وكل الاشياء التي تجعل الوطن في اغوار المقاتل شيئا غاليا وعزيزا وتدفعه الى بذل التضحيات من اجله والى الاستماتة في الدفاع عنه . والقصة تقدم لنا كل هذا من خلال زيارة بطلهـــا (تو) لقريته في اجازة قصيرة من جيش التحرير . وتبدو هذه الزيارة بكل ما احاط بها من احتفال بهيج ومشاعر دافئة وكأنها طقس مقدس يؤدي لهؤلاء الذين يوفرون السلام للبسطاء والامن للاطفال ، فيزيدهم احساسا بمسئوليتهم وشعورا بانتمائهم الى هذا العالم العامر بالمشاعر الاخوية وبالذكريات البهيجة والاليمة معا . ومن هنا فان المقاتل يخوض من اجل هذا العالم تجربة حياة كاملـــة .. يجترح عبرها اعصى المستحيلات .. يتعلم القراءة والكتابة ، ويحفر الخنادق ، ويـدرب الصغار على القتال ، ويقوم بالمهام التي توكل اليه ، ويعمل في انتاج الطعام ، ويجمع بقايا حطام اساحة العدو ليستفيد منها ، ويقـــوم بعشرات الاعمال في وقت واحد . والقصة تقدم لنا هذه الحياة الحافلة بالحياة في تجسدها وتوهجها ، في ماضيها وحاضرها وصيرورتها معا.

---

(١٣) راجع كتاب (الصوت المنفرد) دراسة في القصة القصيرة .

(14) Tanti Ba and her Children, by Nam Ha, Afro-Asian Writings, Vol 7, Special section on Vietnam, P. P. 179 - 185.

(١٥) راجع « ادب المقاومة في فيتنام » من ص ٩٩ـ١٢٨ .

اما قصة نجوين شي ترنج (خطاب من قرية من) (١٦) فانها تقدم لنا حياة المقاتل الفيتنامي وهي تنعكس على صفحة حياة الاخرين وتصور لنا من خلال هذه الاصداء الطريقة التي تتخلق بها المعجزة البشرية والبطولية في هذه المنطقة من العالم .. وهي طريقة شديدة البساطة تنهض على بديهية تقول ان هذا الامر ليس مستحيلا ما دام الاخرون قد استطاعوا عمله ... وهي بديهية ينطوي عليها كل عمل بطولي في فيتنام ، فاذا كان هناك من استطاع ان يسقط طائرة ببندقية اوبرشاش فان في استطاعتك انت الاخر ان تفعل هذا .. وهكذا تتساقط الطائرات ببساطة مذهلة ، على مد الساحة الفيتنامية . وتظهر مع تساقطها واحدة من الاستجابات العكسية لتصاعد العنف الاستعماري ..فتوالي القصف وتنامي طلعات الطائرات لا يبث الرعب في النفوس ولكنه يدفعها الى الاجتراء على هذه الطائرات المختالة كالطواويس والنيل منها . ويتحول النجاح في اسقاط الطائرة بسلاح بسيط الى عرس في القرية التي تسقطها تباهي به القرى الاخرى وتحفزها الى الاتيان بمثله علها تتيه هي الاخرى به على بقية القرى وهكذا .. ومن هنا لا تحقق طلعات الطائرات اليومية المتوالية الرعب والتخويف ولكنها تتيح الفرصة امام العشرات للتحقق والمباهاة بعمل كبير تتكامل به ملامح هذه الاستجابات العكسية التي اشرت اليها قبل قليل .

بقصة نجوين داك توام (المنتصر) (١٧) تكتمل ملامح الصورة التي تصوغها الاقاصيص الفيتنامية وتصبح بقية الاقاصيص الاخرى تنويعا على هذه الجزئيات او تكرارا لبعض مراحل هذه العملية الكفاحية التي تبدأ منذ سنوات الصبا الاولى وتتصاعد مع مسيرة الحياة في شعاب متشابكة تفضي بعضها الى الشهادة ويفضي بعضها الاخر الى الوقوع في براثن الاعداء والتعرض للسجن والتعذيب ولكنها تقود جميعها الى النصر . وقصة (المنتصر) تجسد لنا ملحمة الصمود الفيتنامي ، لا كما يتحقق في ساحات القتال ، ولكن كما تنطق به اعلى درجات الصلابة في مواجهة العسف الاستعماري والعميل . انها الصلابة داخل معسكرات التعذيب وفي جزر الاعتقال الوحشية وبين اقبية سجون السلطة العميلة في سايجون .. وفي مواجهة عصابات مراجعة التثقيف التي تحاول جاهدة القيام بعمليات غسيل المخ الوحشية علها تثني المناضلين عن التفاني في الدفاع عن بلادهم ، ولكن هيهات. وتحكي القصة في اسلوب اقرب الى التقرير التسجيلي طبيعة الحياة في احدى سجون جزيرة الاعتقال حيث السجن مضاعف ..لانه سجن ونفي معا .. يحس معه السجين بالغربة وبالحنين الى الوطن وقد امتزج بتوقه الى الحرية . وهذا التقرير التسجيلي تبدو معه روايات كافكا وقصصه الكابوسية مفرطة في المنطقية والسذاجة ، اذا ما قيست بما يحدث كل يوم في جزيرة (بولو كودندور) مثلا او غيرها من جزر الاعتقال التي تتضاءل امام ما يحدث فيها معسكرات النازي خزيا وبدائية. ان المستعمر الامريكي يستخدم كل ما هياه له العلم الحديث من امكانيات ليهزم ارواح المساجين العزل دون جدوى . ولكن كل الذي ينجح فيه في بعض الاحيان هو تحقيق التصفية الجسدية للبعض دون التصفية الروحية لروح المقاومة والاستمرار .

ولا يكتفي المستعمر بهذا وحده .. بل يحاول في كثير من الاحيان ان يحول دون روح المقاومة والانتشار بين الفيتناميين من البداية . وذلك بخلق مناخ ذهني وروحي يسيطر عليه التحلل وتشيع فيه الوان من العهر الجنسي وادمان المخدرات والزراية بالقيم والانشغال باللذات الحسية عن كل شيء اخر .. ويبث هذا المناخ الفاسد في ارواح المواطنين من خلال تهيئة سبل الانحراف الاخلاقي وتيسيرها لهم، واشاعة مجموعة من الافلام الساقطة والكتابات الجنسية الهابطة بين الشباب، ورعاية دور الدعارة واماكن تعاطي المخدرات ، واخيرا من خلال الاستعانة بالاقلام المأجورة التي تزري بكل قيمة فيتنامية اصيلة ، والتي تحاول ان تقدم تبريرا للاغتصاب الامريكي للبلاد وان تزين للشباب الغواية واستباحة كل شيء ، وان تضع على لسان شخصيات الاعمال الفنية مجموعة من الكلمات التي تنم عن نوعية القيم التي تروج لها . ومن ابرز الكتاب الذين يمثلون هذا الاتجاه شوتو ، تون سوتنج، وغيرهما استمع الى هذه الفقرة من رواية (الفتنة) لشوتو « اعتقد انه اذا استطاع الانسان ان يستهوينا ويغرينا . واذا امتلأت الحياة بالبهجة ، فذلك لان الانسان يعرف كيف يمكر ويخدع ويخون . ما اقبح الحياة لو تحول البشر جميعا الى طاعة الاخلاق ، لو انهم تشبهوا بملايين الساعات المضبوطة الدقيقة المنظمة ، كلها تدق في نفس الساعة ، لا تبطيء دقيقة او تسرع ، سوف يتكون المجتمع حينئذ من الرجال اصحاب الهدف الثابت .ولكن هذا المجتمع الكامل والتام هو بالدقة المجتمع غير الانساني ، لانه يفتقر الى جوهر ذلك الانسان الذي يستطيع ان يحب وان يكره » (١٨) .. ويقول ايضا في نفس الرواية « ان اعظم اهدافنا هو اشواقنا الشخصية » ويقول في رواية (الحياة) « الوطن ، العدالة ، العظمة ، الصداقة ، الحب .. ليس ذلك كله الا غشاوة خديعة .. كل ما اعرفه هو المال» ويقول في روايته (الحب) « على المرء ان يطلق نفسه من اسار العقد التي فطر عليها من يدعون بالمواطنين الشرفاء » (١٩) .. كل هذه المقتطفات الدالة من اعمال (اشهر) كتاب العصر الامريكي في فيتنام تصور لنا ما تقدمه الكتابات العميلة في مواجهة الادب المقاوم ولكنها لا تفلح في الحيلولة دون المواطنين والانخراط في كتائب المقاومة في كل مكان .

في الشوارع والقرى ،ينبثقون من الجداول والانهار جميعا
كانهم الموج الهائج..ويسحقون العدو ويطاون يده القاتلة
في سبيل الحصول على الارز كل يوم
آه لهذه الالحان المدوية في الارض المحررة
حيث شق النور الظلمات
انها تنساب متدفقة من كل التلال الحمراء
وكل الحقول الخضراء المتوجة تحت النسيم
خفاقة تهتز حيثما يطير علم الثورة
لقد شببنا في اوار المعركة ، والنصر غير بعيد (٢٠)

هكذا لا تفلح كتابات العملاء الزائفة في الحد من تنامي فيالق المقاومة التي ينبثق افرادها من كل مكان ، ويحررون في كل يوم قطعة من الارض من تحت اقدام المستعمر حتى اوشكوا ان يجبروه على ان يحمل عصاه على كاهله ويرحل ، وان يحققوا نبوءة هوشي منه في وصيته التي تركها قبل رحيله عام ١٩٦٩ وبعد اقل من اربع سنوات على هذا الرحيل . « ان نضال شعبنا ضد المعتدين الامريكيين ومن اجل تخليص الوطن وانقاذه ، سيتوج بالنصر النهائي ، بالرغم من انه سيترتب على هذا النضال اجتياز المزيد من المصاعب وتقديم المزيد والكثير من التضحيات » (٢١) وقد تحقق لهم كل ذلك بفضل عدالة قضيتهم وايمانهم الذي لا يتزعزع بالنصر وعملهم الذي لا يلين من اجل تحقيقه .

واخيرا .. وحتى تكتمل لنا ملامح الصورة علينا ان نتريث قليلا

---

(١٦) المرجع السابق من ص ١٢٩ ـ ١٤٦ .
(١٧) المرجع السابق من ص ١٤٧ ـ ١٧٨ .
(١٨) المرجع السابق ص ٧١ .
(١٩) المرجع السابق ص ٧٠ .
(٢٠) من قصيدة (اغنية اليقظة) للشاعر تان هاي ، العدد ٢ و ٣ من مجلة الادب الافريقي الاسيوي ، ١٩٦٨ .
(٢١) راجع وصية هوشي منه ، مجلة (الاداب) عدد اكتوبر ١٩٦٩.

عند بعض النماذج التي انجبتها التجربة الفيتنامية على الجانب الاخر من المحيط . وقد ذكرت في بداية هذه الدراسة اننا سنكتفي ببعض نماذج الشعر وحده ، لان انعكاسات الحرب الفيتنامية على الادب الامريكي تحتاج الى دراسة مستقلة . فاثر الحرب الفيتنامية قد تغلغل في اغوار الضمير الامريكي ، وترك في النفس الامريكية عقدة ذنب ظلت تفعل فعلها كلما طال المدى على الحرب . كما ان الاف الجنود الامريكيين الذين زج بهم في هذه الحرب عادوا منها بالكثير من التشوهات الروحية فضلا عن التشوهات الخلقية . ومن بعض هؤلاء الجنود ظهر عدد من الشعراء الذين عبروا عن هذه التجربة او بالاحرى المحنة المريرة . واستقطبت كتاباتهم الرأي العام الامريكي ودفعت الكثير من الشعراء الذين لم يبارحوا الارض الامريكية ولم يشتركوا في هذه الحرب التي تفتقر الى الانسانية والى الشجاعة الى الوقوف في اشعارهم ضد هذه الحرب .. ربما رغبة منهم لانقاذ امريكا من الهوة التي تردت فيها ، وربما وقوفا منهم مع عدالة القضية التي يدافع عنها الشعب الفيتنامي الباسل وتقديرا لبطولته وصموده . ولكن الامر الذي لا مماراة فيه ، هو ان القضية الفيتنامية لم تكن لتحظى بهذا الاهتمام الواسع بها ، حتى بين مثقفي العدو ، لو لم يدافع الفيتنامي عن حقه ببسالة ، ولم يفضح امام العالم الاساليب القذرة للمستعمرين ، بصورة شعر معها الامريكيون انفسهم بالخزي مما تقترفه بلادهم فوق ارض هذا الشعب المناضل .. وقد عبر الشاعر الامريكي الغاضب الان جينسبرج عن هذا الاحساس المرير بالعار الامريكي في قصيدته الطويلة (امريكا) ، حيث يجسد المفارقة بين ما يمنحه الامريكي لوطنه وما تجيب به امريكا على هذا العطاء .

امريكا ، اعطيتك كل شيء وانا الان لا شيء
امريكا ، دولارات وسبعة وعشرين سنتا ، كانون الثاني ١٧ ، ١٩٦٥
لا يمكنني ان اقف على ذهني الخاص
امريكا .. متى ستنهي هذه الحرب الانسانية ؟!
اذهبي فضاجعي نفسك بقنبلتك الذرية
لا اشعر بان حالي حسنة ، لا تزعجيني
لن اكتب قصيدتي حتى اكون في حالتي الطبيعية
امريكا .. متى ستصبحين ملائكية ؟
متى ستخلعين ثيابك ؟
متى ستنظرين الى نفسك من خلال القبر ؟ (٢٢)

على اسنة هذه الاسئلة المريرة يمرغ الامريكي وجه وطنه القبيح في الوحل ، يحاكمه وقد امتلأ غضبا ازاء هذه السلطة التي ولا تقيم وزنا لوعيه الباكر الذي يستشرف آفاق المستقبل ، ويبصر لا تابه بمشاعره وتواصل تلطيخ اصابعه بالدم وضميره بالعار ، الهزيمة الوشيكة لشعبه والنصر المقبل على ارض فيتنام ...

آسيا تنهض ضدي
ليست امامي فرصة حينى
الافضل لي ان اتفحص مصادر ثروتي القومية
مصادر ثروتي القومية تنحصر في وكرين للماريجوانا (٢٣)

ويواصل جينسبرج مرثيته التحذيرية لامريكا .. وهي مرثية تفيض بالتهكم المرير والسخرية الهجائية الحادة ، ولكنها تنطوي على حب عميق لامريكا المفقودة .. امريكا الانسانية ، التي حاربت من اجل حريتها ، والتي ملأتها حروبها العدوانية بالتمزقات الداخلية والاضرابات وعمليات الارهاب والاغتيال والقمع الوحشي .. بالصورة التي استحالت معها الساحة الداخلية هي الاخرى الى ميدان حرب لا تقل ضراوة عن الحرب الدائرة في الخارج ..

قبل بضعة ايام كنت افكر
بالدبابات التي رأيتها تقتحم شوارعنا القذرة
تحت الحكم العسكري
كنت افكر بالجياع في بلادنا والمستغلين
كنت افكر بمعسكرات التعذيب والسجون
كنت افكر بوظيفة الجنود ونحيب اليتامى
كنت افكر في الازمان الآتية
ومطارق الجيل القديم فوق رؤوس الشبان
كنت افكر بالجنود العائدين من فيتنام
ليروا حربا داخل بلادهم

هل سيعرفون السبب .. هل سيقتلون ذويهم ؟(٢٤)

هذه اسئلة اخرى تعذب الشاعر الامريكي وهو يشهد التمزقات الداخلية في المجتمع الاميركي ، ويعي وثاقة العلاقة بين هذه التمزقات والحرب الدائرة في فيتنام ويحدس ما سيحدث عندما يعود الامريكيون من فيتنام وقد اثخنتهم جراح الهزيمة وشوهتهم المجازر البربرية التي كانوا يعيشونها كل يوم هناك .واثقلت ضمائرهم المفارقة الحادة بين الاسلوب الذي تعامل به امريكا الفيتناميين والطريقة التي يعامل بها الشعب الفيتنامي الاسرى الامريكيين ، وملأتهم شكا ممرورا في كل القيم والمقولات الامريكية المقدسة .. وهذا ما تعكسه قصيدة هذا الجندي الامريكي الذي وقع في الاسر لدى الفيتناميين .

جاء الرجل مملوءا بالشك ، لا يعرف ما يدور وراء هذه الحرب
عندما تدخل في بلاد شعب آخر وعاش ليرى حريته قد سلبت
دهش عندما وجد انه يعامل معاملة حسنة .
من قبل الشعب الذي جاء هو ليقتله
كشفوا له طريقة النضال ، وكل يوم علموه شيئا جديدا
شيئا فشيئا ، بدأ يفهم ان الشعب الذي جاء ليقتله
يحاول أن يدافع عن الحريات التي مات اجداده من اجلها منذ قرون
فوق تلال امريكا المضرجة بالدماء (٢٥)

ان الجندي الامريكي يعود الى بلاده بعد ان يكتشف انه كان ضحية اكذوبة كبيرة .. وان الشعب الذي ذهب ليقتله انما يكرر البطولة التي يتغنى بها الامريكي في المدارس .. بطولة اجداده الذين دافعوا عن حرية امريكا واستقلالها قبل قرنين من الزمان .. لكن الذين لقنوه دروس هذه البطولة قد زيفوا له الشعارات التي ينطلق تحت رايتها ليحارب ضد القيم التي تعلم تقديسها في شبابه .. ومن هنا فانه ما يلبث ان يتمرد على هذه الشعارات ويوجه تمرده الى الشعار الاعظم .. الى العلم الامريكي نفسه يحرقه في المظاهرات والمؤتمرات ويرفض ان يجند تحت لوائه ليحارب عن هذه الاضاليل والدعاوي الزائفة . ويستشعر الجيل القديم خطورة هذا التمرد على الشعارات التي يصكها للشباب فيسن قانونا يعاقب كل من يحرق العلم ويتبنى السيد ريفرز حاكم ولاية جنوب كارولينا الدعوة الى معاقبة كل من يحاول حرق العلم .. ويرد الضمير الامريكي على هذه الدعاوي الجديدة بتلك القصيدة المدهشة (لمناسبة حرق العلم) للشاعر الشاب سكيب ستورى والتي تحولت الى اغنية يرددها الجميع .. وخاصة المقطع الذي يصرخ فيه الشاعر ..

يا مستر ريفرز : رجاء اسمع ما اقول

---

(٢٢) راجع النص الكامل للقصيدة من ترجمة سركون بولص ، مجلة شعر ، عدد ٤٠ خريف عام ١٩٦٨ .
(٢٣) المرجع السابق .
(٢٤) من قصيدة (راحة متأصلة فيك) لبيتر بويد ، ترجمة كمال بلاطه ، مجلة (مواقف) عدد ١٦ يوليو واغسطس ١٩٧١ .
(٢٥) من قصيدة (الحرية الغالية) ترجمة كمال بلاطه ، مجلة (مواقف) عدد ١٦ يوليو واغسطس ١٩٧١ .

بدل اختلاق القوانين ضد حرق العلم
اخلق لنا قانونا يمنع حرق الاطفال في فيتنام
وحرق الزنوج في جنوب كارولينا (٢٦)

وهكذا تستمر الاغنيات والاجراءات المضادة للحرب في التصاعد في امريكا ، في الوقت نفسه الذي تتصاعد فيه الاعمال والاحداث التي تحث على استمرار النضال والمقاومة فوق الارض الفيتنامية لتكون كل منهما وجها من وجوه الاخرى وجناحا من اجنحة الادب المقاوم الذي انجبته التجربة الفيتنامية . واذا كان الادب الفيتنامي يتسم بمجموعة من الخصائص التي حاولنا التعرف على بعض ملامحها خلال عرضنا لبعض نماذجه ، فاننا سنفسح المجال للناقد الامريكي دانييل هوفمان ليحدثنا من خلال تحليله للمجموعة الشعرية (بذاءات) للشاعر الامريكي العائد من حرب فيتنام مايكل كيسى ، عن بعض ملامح وخصائص هذا الشعر المناهض للحرب الامريكية البشعة في فيتنام .. وفي البداية يؤكد الناقد « أن الشعر المناهض للحرب الفيتنامية ليس بالظاهرة الجديدة في الولايات المتحدة . فقد كانت القصائد التي كتبت حول هذا الموضوع من الكثرة بحيث ان احد الشعراء صرح – في مؤتمر جامعي عن الشعر والضمير القومي – بان الحرب الفيتنامية قد ماتت كموضوع للشعر .. فمنذا الذي يسام الخطب وجمجمة الاتهامات ؟.. ان سخطنا الاخلاقي يبدو كقذيفة فارغة ، والحرب مستمرة وكانها الداء العضال » (٢٧) وبعد ان يؤكد هذه الحقيقة بشقيها .. تنامى الشعر المكتوب عن الحرب واحساسه بالعجز ازاء استمرار هذه الحرب وقد صمت آذانها عن اي صوت عاقل .. يواصل تحليل المجموعة التي كتبها ٣٢ شاعرا شابا من قدامى الجنود المشتركين في الحرب الفيتنامية بعنوان (كسب القلوب والعقول) ومجموعة مايكل كيسى (بذاءات) ويرى ان هذه القصائد تستمد تجاربها من عالم الناس المفتقرين الى الشاعرية الذين عاش بينهم مؤلفوها .. ويبدو شعراء هذه القصائد وكانهم ادركوا بسليقتهم الحقيقة الكامنة وراء عبارة والاس ستيفنسن « امام واقع الحرب العنيفة يتخذ الوعي مكان المخيلة » ومن هنا كان وعي الشاعر في هذا النوع من القصائد فوق مخيلته . وكان في شعره مذاق صادم وعنيف وكانه يتحدث عن عالم من البديهات التي تعاني من الغربة في واقع لا منطق له .. واستطاع الشاعر كما يقول هوفمان « ان يصنع اداة حساسة من الفظاظة والبذاءة اللتين تسودان لغة الثكنات وحياة الجيش وان يخلق نوعا من اللاشعر يلائم نوعا من اللحرب خلوا من اي نوع من المجد » (٢٨) .

بهذا التعريف السريع ببعض نماذج وخصائص الشعر الامريكي عن حرب فيتنام ، نكون قد تعرفنا على جناحي الادب المقاوم الذي انجبته التجربة الفيتنامية . واحب في النهاية ان اؤكد ان ما قدمته هنا ليس اكثر من محاولة للتعريف ببعض النماذج التي قرأتها من ادب هذه التجربة الانسانية الكبيرة ، لا تدعي الاحاطة بجوانب هذا الموضوع الكبير ، ولكنها فقط ترجو ان تكون فاتحة لمزيد من الدراسات والاضاءات النقدية المتخصصة لجوانب هذا الموضوع .

القاهرة — صبري حافظ

(٢٦) من قصيدة (لمناسبة حرق العلم) بالمرجع السابق .
(٢٧) راجع الشعر الامريكي وحرب فيتنام ، مجلة (الموقف الادبي) السورية العدد الثاني يونيه ١٩٧٢ .
(٢٨) راجع الشعر الامريكي وحرب فيتنام ، مجلة (الموقف الادبي) السورية العدد الثاني يونيو ١٩٧٢ .

ماركيوز أو فلسفة الطريق المسدود

تاليف محمود أمين العالم

يعتقد المؤلف ، وهو واحد من كبار المثقفين التقدميين العرب ، ان الفكر العربي المعاصر فكر مأزوم لانه يفتقد النظرية العلمية الواضحة والخبرة العملية المتنامية . و « في سعينا المأزوم الى الوضوح الفكري، الى التحرر الوطني والاجتماعي ، الى الوحدة القومية ، كانت تطل علينا بين الآن والآخر صيحات تزعم في نبراتها العالية نبوة الخلاص . على انها لم تكن تفعل شيئا غير ان تضاعف من محنتنا ومن ازمتنا ... برجسون .. سارتر والوجودية ... الوضعية المنطقية والبرجماتية ... واخيرا تطل علينا الماركيوزية لتقدم نبوءة جديدة للحرية (...) ولكنها في الحقيقة تسعى لتطمس الوعي الصحيح بحقائق حياتنا ووقائع عصرنا ، وتدفع بفكرنا ونضالنا الى ما أزعم انه طريق مسدود . »

وهكذا يكون هذا الكتاب ادانة كاملة لفكر ماركوز، وهذه الادانة قائمة على دراسة لآثار ماركوز ومواقفه. وكما سبق لدار الآداب ان قدمت بعض آثار ماركوز للقارىء العربي ، من غير ان يعني ذلك بالضرورة تبنيها لهذا الفكر ، فانها تقدم اليوم نقدا لهذا الفكر بقلم مفكر عربي ماركسي ، من غير ان يعني ذلك بالضرورة ايضا انها تقر وجهة نظره ، هذه الوجهة التي هي قابلة حتما للنقاش .

صدر حديثا